

من تحديات الديمقراطية في كولومبيا

روبرت كاغان ، آروب موخارجي

صحيفة واشنطن بوست

9 مارس 2010

In Colombia, Democracy is Stirred But Not Shaken

By Robert Kagan & Aroop Mukharji

The Washington Post Newspaper

ترجمة: علي الحارس

- باحث في مركز كارنيغي للسلام العالمي.
- من الموقعين الـ(25) على (مشروع القرن الأمريكي الجديد).
- من الموقعين على الرسالة التي طالبت الرئيس كلينتون بالتحرك ضد النظام المقبور.
- مستشار المرشح الرئاسي جون ماكين لشؤون السياسة الخارجية في الحملة الانتخابية عام (2008).
- عضو هيئة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية (1984-1986). وحينها كان كاتب خطابات وزير الخارجية الأسبق جورج شولتز.
- عضو مكتب الشؤون الأمريكية الداخلية في وزارة الخارجية (1986-1988).
- دكتوراه في التاريخ، جامعة اميريكان.



روبرت كاغان

- باحث ثانوي في مركز كارنيغي للسلام العالمي.

آروب موخارجي

ثمة أجواء ملبدة بالتشاؤم تحوم حول الديمقراطية هذه الأيام، إذ يبدو أن الطغاة يعززون تقدمهم في كافة قارات الأرض، لذلك ينبغي الإشارة إلى أي نصر تحققه الديمقراطية على إغراءات الطغاة.

هذا ما حدث في كولومبيا مؤخراً، حيث أُلح الرئيس الفارو اورببي خلال فترة مضت إلى أنه قد يرشح نفسه لولاية رئاسية ثالثة على التوالي، وذلك على الرغم من أن الدستور لا يسمح بتجاوز حكم الرئيس لأكثر من ولايتين. لكن مجلس الشيوخ الذي يقوده حلفاء اورببي صادق في الصيف الماضي على قانون لتغيير الدستور، ليبقى الاستفتاء الشعبي في مايو القادم الخطوة التالية والنهائية لتمهيد الطريق أمام إعادة انتخاب اورببي. قد تبدو هذه الظاهرة مألوفة للقارئ، وهذا مما لا شك فيه، إذ كان الاستفتاء الشعبي وراء قيام الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز بتنصيب نفسه فعليا رئيسا مدى الحياة؛ ولكن المحكمة

من تحديات الديمقراطية في كولومبيا

الدستورية الكولومبية رفضت القانون في أواخر فبراير الماضي. فمات الاستفتاء. وعاشت الديمقراطية.

لو أتاحت الفرصة أمام أورببي ليعيد ترشيح نفسه لما كان هنالك تقريبا أي عائق يحول دون فوزه بالانتخابات. وذلك بسبب شعبيته الكاسحة في كولومبيا. حيث دفع عن الناس أذى الإرهابيين وعصابات الجريمة المنظمة ونشر الأمن حتى في شوارع مدينة ميديلين. وإذا كان هنالك من أحد يزكي أورببي لولاية ثالثة فهو أورببي نفسه. ولو كانت المحكمة قد قبلت الاستفتاء فإن كثيرين كانوا ليغيرون نظرتهم إلى أورببي.

من حسن الحظ أن المحكمة كانت لها رؤية أخرى. إذ ربما ارتأت أن ولاية ثالثة سيكون لها أثر سيئ على كولومبيا. وعلى الأمريكيتين. وعلى أورببي نفسه؛ وكانت لتكون ضربة -مميته ربما- للديمقراطية التي بذل الكثير كي يحافظ عليها.



الفارو أورببي

إن الديمقراطية الناجحة لا تقتصر على تمثيل الرغبات الحالية للشعب. وإنما ينبغي عليها أيضا أن تستند إلى أسس مؤسسية وقانونية قوية يدين لها الجميع بالولاء. وفي الديمقراطية الناشئة بالأخص تكون نزاهة المؤسسات ذات أهمية تماثل أهمية الإرادة الشعبية. والدستور الكولومبي لا يتجاوز العشرين من العمر. وقد تم تعديله قبل أربعة أعوام للسماح لأورببي بترشيح نفسه لولاية رئاسية ثانية. ولو أتاحت له أربعة أعوام أخرى من الحكم. لانتهى به الحال وهو

يعين معظم أعضاء المحكمة العليا وكبار الجنرالات. وفي الواقع. كانت الولاية الرئاسية الثالثة لتمهد الطريق أمام أورببي كي يفصل حكومة على مقاسه.

من تحديات الديمقراطية في كولومبيا

يشبه بعض الكولومبيين أوربي بفرانكلين روزفلت. الرئيس الأمريكي الوحيد الذي تم انتخابه أكثر من مرتين. لكن الديمقراطية الأمريكية كانت قد ترسخت وثبتت جذورها في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وما حصل من تحول قصير الأمد عن التقاليد المتبعة أدى إلى تشريع شروط صارمة لتحديد ولاية الرئيس. وهو ما تم السير عليه منذئذ. أما كولومبيا فنظامها الديمقراطي لا يزال فتيا ومستقبله تنتابه الشكوك.

إن جورج واشنطن هو أفضل مثال لهؤلاء الذين يقفون على حافة التحول إلى (رؤساء مدى الحياة). فعندما كانت الديمقراطية الأمريكية لا تزال فتية وهشة. قرر واشنطن أن يحدد فترة حكمه كرئيس على الرغم من الشعبية التي حظي بها. لقد كان واشنطن على علم بإحدى البديهيّات الأساسية في الديمقراطية. وهي: هنالك أكثر من شخص مناسب لحكم البلاد من خلال حكومة قديرة. ولكن هذه البديهيّة تم التضحية بها في العديد من الدول لصالح الطموحات الشخصية والانطباعات المضللة عن عدم إمكانية إيجاد البديل.

إن ولاية رئاسية ثالثة لأوربي كان من شأنها. لو حصلت. أن تحدث تأثيرا يتجاوز كولومبيا. فالديمقراطية تتعرض للوهن في جنوب أمريكا. حيث أصبح من الشائع وجود الرؤساء التمديديين وإجراء التعديلات الدستورية: ولكن أوربي قد عزز توجهها بدأه تشافيز وانضم إليه رافاييل كوريا (في الاكوادور) وايفو موراليس (في بوليفيا) وحاول الانضمام إليه مانويل زيلايا (في هندوراس).

على العكس من ذلك. سارت كولومبيا بعكس تيار الاستبداد ووجهت له ضربة سيكون لها أصدأؤها. وقاومت إغراء التعديلات الدستورية السهلة. واختارت عوضا عنها أن تكون نموذجا للانتقال الديمقراطي للسلطة على نحو سلمي قابل للاستمرار.

إن بطولة هذه القصة تعود في النهاية إلى الرئيس أوربي. فمهما كانت رغباته الشخصية. سمح أوربي للمحكمة أن تمارس عملها دون أن يتدخل: وبغض النظر عن

من تحديات الديمقراطية في كولومبيا

الإنجازات التي حققها. ومنها هزيمة الإرهاب وفتح نافذة الأمل أمام الكولومبيين. فإن أعظم هدية قدمها لشعبه ستكون مجتمعا ونظاما سياسيا على أساس حكم القانون. وليس على أساس سلطة الفرد وشعبيته.

من الصعب معرفة الدور الذي لعبته إدارة اوباما في هذه القضية. فالرئيس اوباما حث اوريبي في السر على عدم الترشح لولاية ثالثة. ولكن هذه الإدارة لم تقم إلا بالقليل حيال ذلك في العلن. ومن الصعب البت في ما إذا كان موقف الإدارة هذا لتجنب الظهور بمظهر فرض الإرادة، أو أنها كانت مترددة في موضوع جعل تعزيز الديمقراطية من الأولويات.

لكن إدارة اوباما ستبرز أمامها قريبا فرص للقيام بالمزيد. فمصر. على سبيل المثال. يحكمها نظام ديمقراطي بالاسم فقط. وستجري فيها انتخابات برلمانية هذا العام. وما علينا إلا أن نأمل بأن يغتنم اوباما هذه الفرصة وغيرها ليعزز المصلحة الأمريكية القائمة على الديمقراطية العالمية. إذ ليس هنالك دائما رجال أقوياء يرغبون بمحض إرادتهم أن يضعوا أنفسهم تحت سلطة القانون.